

شرح الحكم العطائية

وجود آثارها من كفاية العبد ونصرته واللفف به .

(ها أنا أتوسل إليك بفقرى إليك وكيف أتوسل إليك بما هو محال أن يصل إليك ؟ أم كيف أشكو إليك حالى وهو لا يخفى عليك ؟ أم كيف أترجم لك بمقالى وهو منك برز إليك ؟ أم كيف تخيب آمالى وهى قد وفدت إليك ؟ أم كيف لا تحسن أحوالى وبك قامت وإليك ؟) .

لما كان أعظم ما يتوسل - أى يتقرب به العبد إلى مولاه - فقره إليه فى كل حال من الأحوال لكونه مقتضى العبودية بلا اشتباه قال المصنف : ها أنا أتوسل إليك بفقرى إليك ثم إنه ترقى عن هذا المقام ورأى أن التوسل بالفقر معلول عند العارفين الأعلام فإن توسل العبد به يقتضى شهوده له واعتماده عليه ورأى أيضاً أنه لا مناسبة بين المتوسل به والمتوسل إليه فقال : وكيف أتوسل إليك بما هو محال أن يصل إليك ؟ فلا يصح التوسل بالفقر من هذا الوجه عند العارفين كما هو مقتضى الحقيقة والأول مقام السالكين وهو مقتضى الشريعة . ويناسب مقام العارفين ما حكى أن سيدى أبا الحسن الشاذلى دخل على شيخه سيدى عبد السلام فقال له : يا أبا الحسن بماذا تلقى الله تعالى ؟ فقال له : بفقرى . فقال له الشيخ : والله لئن لقيت الله بفقرك لتلقينه بالصنم الأعظم ولا تصح حقيقة الفقر إلا بالغبية عن الفقر وإلا كنت غنياً بفقرك . آه ثم أن المصنف ترقى إلى مقام الخليل المقتضى لترك الدعاء والتسليم إلى الملك الجليل فتعجب من نفسه فى حال السؤال السابق وقال : أم كيف أشكو حالى وهو لا يخفى عليك ؟ فإن الخليل لما قال له جبريل : - عندما أراد النمروذ أن يلقيه فى النار - سل مولاك . فقال : حسبي من سؤالى علمه بحالى . ثم تعجب أيضاً من كونه يسأل بقوله : أم كيف أترجم لك بمقالى وهو منك برز إليك ؟ يعنى أن العبد لا تنسب إليه الترجمة والسؤال فإن الذى أنطق لسانه إنما هو الكبير المتعال ومن أنطق لسانه عالم بأحواله فهو المسؤول الذى يتفضل عليه عند تحريك لسانه بحصول آماله ولذا قال : أم كيف تخيب آمالى - أى ما أؤمله وأرتجيه من كل ما يرام - وهى قد وفدت - أى توجهت - إليك كما تتوجه